إهداء

إلى الذين روت دماؤهم أرض العراق الطاهرة

لتنبت شقائق النعمان..... شهداء العراق

تقديم

كانت اللغة العربية يومًا هي اللغة العلمية التي أثرت على علماء اليهود في العصر الوسيط أثرًا وتأثرًا، واليهود مدينين للعلماء العرب بالإسهامات الكبيرة في تطوير الفكر الأدبي واللغوي لهم، إذ قدموا كتاباتهم باعتمادهم على مناهج العرب في اللغة والنحو والأدب والعلوم الأخرى. وقد كتبوا باللغة العربية اليهودية (اللغة العربية بحروف عبرية) ومنها كتاب الرسالة الذي بين أيدينا لـ «يهودا بن قريش» الذي يعتبر من أقدم المؤلفين اللغويون الذين كتبوا في اللغات المقارنة وباكورة الفيلولوجية المقارنة في اللغات السامية (العربية، العبرية، والآرامية).

بوركت الجهود العلمية الجادة في إخراج هذا الكتاب إثباتًا لهوية النحو العربي وتأثيره على النحو العبري، وإثباتًا لحق الحضارة العربية الإسلامية وهي في أزهي عصورها في العصور الوسطى لما نهلوه من معرفة وعلم في مراكز الإشعاع الحضاري العربي الإسلامي في مدن الأندلس وصقلية وغيرها، وأنها لأمانة في أعناقنا أن نحافظ على تراثنا العربي والإسلامي المخطوط أينما وجد في أن نكتبه ونترجمه من كل اللغات في العام ليظل نبع ثقافتنا العربية الإسلامية الأصيلة شريانًا يجري عبر العصور.

أ.د. أحمد حمد محسن

مقدمة

فكرة الموضوع وأهميته:

إنَّ التراثَ العربيَّ الإسلاميَّ المخطوط الذي خَلَّفهُ لنا الأجدادُ، لمن الكثرة والغنى ما يجعله من أعظم وأضخم الموروثات الحضارية لأية أمة من الأمم، إذ حوى من شَتىَّ صنوفِ المعرفة، وفنونِ العِلْمِ، ولم يقتصر الأمرُ عند هذا الحد، بل إنَّ ما يُدْهِش العَقْلَ ويسوق إلى التفكير أننا وجدنا في هذا التراث أعلامًا كبارًا من رجال الأمم الأخرى ممن كَتَب وألَّفَ بلغتنا العربية، كان مُتأثِّرًا بمناهجنا في التأليف، فكان في هذا التأليف فضلٌ زائدٌ على الفضل الأول.

وآية ذلك ما خَلَّفهُ لَنا اليهود الذين عاشوا في ظل الحضارة الإسلامية، داخلين في حماها، مطمئنين في كنفها، ناهلين من علومها، متشبعين بتراثها العلمي والحضاري، إذْ لم يجدوا حَرَجاً في أن يُؤلِّفُوا ويكتبوا باللغة العربية كتبهم ومؤلفاتهم العلمية، التي كانت موسومة بالطابع العربي الإسلامي، فقد وجدنا عددًا من علماء اليهود في عصور النور الإسلامية - التي يقابلها في الغرب الصليبي الأوروبي العصور الوسطى المظلمة - من كتب باللغة العربية، وبمناهج علمية إسلامية بحتة، من أمثال: موسى بن ميمون، ويوحنا بن جناح، وإسحاق بن بارون وغيرهم كثير، ومما تجدر الإشارة إليه هو أنَّ هؤلاء العلماء وأمثالهم عندما اختاروا اللغة العربية لغة لمؤلفاتهم، تحَرَّجُوا من الكتابة بالخط العربي، فاختاروا الخط العبري، خطا للكتابة خوفًا من أن توجه إليهم سهام اللوم والعتاب من قبل مُتشدِّدي اليهود؛ لتركهم لُغَتَهم الأم، هذا على قول، وفي قولٍ آخر أنَّهم استأنسوا بحروف لغتهم أكثر من استئناسهم بحروف اللغة العربية، وفي رأيٍ ثالث أنهم خافوا أن يعرف العرب ما يكتبون.

فكانت هذه الظاهرة مثار اهتمام من قبل دارسي التراث العربي المخطوط عمومًا، والباحثين في مجال الدراسات اللغوية العبرية على وجه الخصوص، إذْ وقفوا منها موقف الباحث المتتبع لأسبابها، المفسر لحيثيات ظهورها، فكان من هؤلاء النخبة المستنيرة من الدارسين؛ الأستاذ الدكتور أحمد محمود هويدي الذي دلني على مخطوطة فريدة من نوعها لعالم فَذٍّ من علماء اليهود، ألا وهو «يهودا بن قريش»، الذي يُعَدُّ من أقدم المؤلفين في دراسة اللغات السامية المقارنة، ولذلك فإنَّهُ قد عُد أبا عذرها، وحامل لواء السبق فيها، فكان أن كتب جزءًا من هذه الرسالة باللغة العربية بحروف عبرية، وجزءًا آخر منها باللغة العبرية بحروف عبرية – وهو الجزء الأكبر – إذ قمتُ بإرجاع النص العربي منها من الحروف العبرية إلى الحروف العربية، وترجمتُ الجزء المكتوبَ باللغةِ العبرية والآرامية والسريانية إلى اللغة العربية، وحاولت جاهدةً السير على وفق المنهج المتبع في دراسة النصوص التراثية تحقيقًا ودراسة.

ويضاف إلى ما تقدم؛ أنَّ أهمية هذا الموضوع تبرز في قدم هذه الرسالة، وكذلك تقدم مؤلفها في التاريخ، وذلك لأنَّه كان من علماء القرن الثالث الهجري، الموافق القرن العاشر الميلادي، وتعد دراسته هذه من أوائل الدراسات اللغوية المقارنة إنْ لم تكن أولها، ذلك أنه عُني فيها ببيان الفروق اللغوية بين ثلاث لغات، وهي: العبرية، والعربية، والآرامية، وبخاصة أنَّه لاحظ تشابهًا في كُلٍّ من المفردات والتراكيب النحوية، فكان إخراج هذه الرسالة في ثوبها العربي القشيب من أولى الأوليات، فضلاً عن أن الباحثين في هذا المجال يحتاجون إليها كثيرًا.

أسباب اختيار الموضوع:

١- أهمية الموضوع، وأهمية مؤلفه.

٢- رغبتي الخاصة باستكمال دراستي العبرية المقارنة، والتمرس بها.

٣- حاجة الطلاب في الاعتناء بهذا المصدر في مجال الدراسات اللغوية المقارنة.

٤- الإسهام في نقل التراث العربي الذي كتبه اليهود باللغة العربية لكن بحروف عبرية إلى الخط العربي، وإماطة اللثام عنه.

٥- إبراز فضل الحضارة الإسلامية على اليهود، وتأثيرها عليهم بما يؤكد الموقف الحضاري الإسلامي المبني على أساس من قيمتي الأخوة الإنسانية والتسامح العقائدي.

خطة الدراسة والتحقيق:

قسمت عملي في هذه الدراسة إلى قسمين، فالقسم الأول هو: قسم الدراسة، والقسم الثاني هو: قسم التحقيق.

القسم الأول (الدراسة):

وقد جعلتهُ في مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن:

- فكرة الموضوع، وأهميته.
- أسباب اختيار الموضوع.
- خطة البحث.
- الصعوبات التي واجهتُها في الدراسة والتحقيق وفي توفير المصادر التي تساعد في إثراء مادة الموضوع العلمية وفي كتابتها وتوثيقها.

أمَّا **الفصل الأول**: فقد خصصته لترجمة المؤلف، وذلك في أربعة مباحث: فالمبحث الأول كان بعنوان: إشكالية اسم المؤلف.

والمبحث الثاني: تحدثت فيه عن نشأة المؤلف.

والمبحث الثالث: خصصته لدراسة مذهب المؤلف ومعتقده.

وأما المبحث الرابع: فقد جعلته لمؤلفات ابن قريش.

ثم جاء **الفصل الثاني**: مستوعبًا تاريخ اللغة العبرية، وأسباب نشأة النحو العبري، وتطوره، وقد رتبته في مبحثين، هما:

المبحث الأول: تاريخ نشأة اللغة العبرية وتطورها.

المبحث الثاني: نشأة النحو العبري: أسبابه، وتطوره.

أما **الفصل الثالث** فكان بعنوان: نشأة النحو المقارن وتطوره عند اليهود في العصر الوسيط، وقد جعلتهُ في ثلاثة مباحث:

فالمبحث الأول بعنوان: نشأة الدراسات المقارنة عند اليهود، ودوافعها.

المبحث الثاني: الدراسات اللغوية المقارنة قبل ابن قريش، وجعلته في مطلبين:

فالمطلب الأول كان بعنوان: المقارنات عند المسلمين.

والمطلب الثاني بعنوان: المقارنات عند اليهود قبل ابن قريش.

وأمَّا المبحث الثالث: فكان خاصًا لدراسةِ مكانة ابن قريش بين النحاة اليهود.

وأخيرًا خصّصتُ **الفصل الرابع** لتوثيق الكتاب والتعريف به، وجعلته في ثلاثة مباحث:

فالمبحث الأول بعنوان: الكتاب ونسبته إلى مؤلفه، وتحته أربعة مطالب، وهي:

المطلب الأول: عنوان الكتاب.

المطلب الثاني: نسبته إلى مؤلفه.

المطلب الثالث: قيمة الكتاب العلمية.

المطلب الرابع: طبعات الكتاب.

وأما المبحث الثاني: فكان خاصة بدراسة منهج الكتاب وترتيبه، وجعلته في أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: وصف مقدمة الكتاب.

المطلب الثاني: منهج المؤلف.

المطلب الثالث: مصادر المؤلف.

المطلب الرابع: سمات الكتابة العربية اليهودية من خلال نص الرسالة.

وأخيرًا جاء المبحث الثالث مخصصًا لموضوع النسخ المعتمدة، ومنهج التحقيق، وجعلته في مطلبين، وهما:

المطلب الأول: وصف النسخ المعتمدة.

المطلب الثاني: منهجي في التحقيق.

وفي نهاية الدراسة جاءت **الخاتمة** متضمنةً خلاصة الموضوع وأهم النتائج التي توصلت إليها بالإضافة إلى التوصيات.

أما قسم التحقيق، فقد تمثَّلَ في نقل النص العربي بحروف عبرية إلى حروف عربية، وترجمة العبري والآرامي والسرياني منها، وإيضاحها بشرح الغامض والغريب، وترجمة الأعلام، وضبط الآيات القرآنية الكريمة، وتوثيق نسبة ما وجدتُ فيها من أشعار إلى أصحابها.

الصعوبات:

لقد واجهتني صعوبات كثيرة ومتنوعة في كتابتي هذا العمل أوجزها في ما يأتي:

١- صعوبة التعامل مع الحروف العبرية التي تحمل معاني عربية ولغة عربية، وذلك أنَّ إرجاعها إلى الحروف العربية كان محفوفًا بمخاطر سلامة الكلمة، وتمام المعنى.

٢- صعوبة ترجمة الشواهد والكلمات العبرية، والآرامية، والسريانية؛ لصعوبة هذه اللغات، فضلاً عن أنَّ الترجمة لا تسلم من مأزق خطأ المعنى والانحراف عن الهدف المقصود.

٣- شُحْ المصادر المترجمة لمؤلفنا يهودا بن قريش، على الرغم من أني وجدت مراجع كثيرة معاصرة تحدثت عنه، غير أنها كانت تدور في فلك مصادر قليلة ومتشابهة، مما أوقعهم في اجترار الكلام نفسه.

٤- صعوبة خدمة النص العبري في إيضاحه، وشرح كلماته، والعثور على تراجم أعلامه، وتخريج شعره - على قلته -.

وأخيرًا فلا أزعم أني أتيت في عملي هذا بالكمال ولا دنوت منه، إذ الكمال صفة لله تعالى وحده، وأما الإنسان فيعتري عمله الخطأ والسهو والنسيان، ولكنني أقول حسبي أني بذلت الجهد واستفرغت الوسع، فأرجو معاملتي بالمعذرة والإغضاء، وإفادتي بكل فائدة غابت عني، وتنبيهي إلى كل خطأ وقع مني، لعلَّ هذا العمل أن ينال القبول عند الله تعالى أولاً، وعند أهل العلم من ذوي الاختصاص ثانيًا، وأرجو الله تعالى أن يتقبله مني خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله سببًا للفوز بجنات النعيم، وأختم بالصلاة والسلام على النبي العدنان وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان، وآخر دعوانا أن الحمد لله الكريم المنان على ما أنعم ويَسَّر وأعان حَمدًا كثيرًا يوافي نِعَمَهُ ويكافِئُ مزيدَهُ على مر الأزمان.

كفاح صابر رشيد